السيلو هو السيرة والسير

للأب أنستاس مارى الكرملى

١ — تصدير

زارنى ولدى بالروح كوركيس حنّا عوّاد فى ١٥/٣/١٩٤٢ وقال لى: « يا أبتِ بينما أنا أتصفّح المجلد الـ ٨٧ من المقتطف (ديسمبر ١٩٣٥) ص ٦٣٠ وقع نظرى على هذه العبارة وهى : « وقد اصطلح العلماء على تسمية هذه المخازن [مخازن الطعام] باسم سيلو Silo ، وأصل هذه الكلمة بحسب أقوال الغربيين ، ويظهر أنها استعملت أولاً فى أسبانيا والمغرب الأقصى . فجدّا لو عُنى أحد اللغويين بالبحث عن أصل اشتقاقها . وقد اصطلح على تسميتها فى القطر المصرى بالصوامع ، لأن الفلاح اعتاد أن يطلق اسم صومعة على المخزن المبنى بالطين الذى يحفظ فيه غلاله ، وكان الكاتب جلال حسين أول من أطلق عليها هذا الإسم فى مقالات له نشرت فى المقطم » انتهى.

ثم زاد ولدى على ما تقدم نقله ما هذا إيراده : « ثم تصفحت ما جاء من أجزاء المقتطف فى مجلداته التالية إلى هذا اليوم فلم أجد من تعرض لهذا البحث ولم أوفق فى عثورى على معرفة الأصل العربى ، فهل لك أن تذكر لنا اللفظة المأخوذة منها الكلمة الغربية ؟ » .

فقلت له : إنى قد بحثت عنها فى معجمى الكبير (المساعد[1]) ولكن البحث عنها فى هذا البحر الفِطَم يحتاج إلى وقتٍ ، فمتى ما سنحت لى الفرصة أُحقق الأمنيّة ، وأنقل ما قيدته فى دفاترى . واليوم قد ظفرت بهذا الموضوع ، فأتى به وأطلع الأدباء عليه بنشره فى هذه المجلة .

٢ — أقسام مخازن الطعام

تقسم مخازن الطعام إلى قسمين كبيرين : قسم يتخذ فوق الأرض وقسم يتخذ فى السراديب أى تحت الأرض . وليس للغربيين إلا اسم واحد لهذين القسمين وهو (سيلو Silo) . أما العرب ، فقد سموا باسمين مختلفين هذين المخزنين : فالذى يبنونه أو يتخذونه فوق الأرض يسمونه السيرة أو السِّير ، وهو الذى نقل إلى (سيلو الغربية كما سترى) وقسم تحت الأرض وهو المسمى عندهم مطمورة .

٣ — السيرة والسير

قال صاحب كتاب الزردقة[1] فى ص١٤٣ ــ ١٣ وما يليه :

(١) سمع كثيرون بمعجمى هذا الواسع المتضمن ألفاظاً لا تحصى مستدركة على أصحاب المعاجم العربية الكبرى ، والتى لا ترى فى القاموس ولا فى الأوقيانوسى ولا لسان العرب ولا تاج العروس ولا أى معجم كان من تأليف الأقدمين والمحدثين من الناطقين بالضاد وأبناء سائر البلاد . لأنه وعب كلاً من عهد الجاهلية وصدر الاسلام وعهد العباسيين ومصطلحات العلوم والفنون والصنائع ، فقد تجىء أسئلة عن ألفاظ غريبة من دير النيل وربوع الشام وأرجاء فلسطين ، ومن شمال أفريقية وأصقاع أميركة المختلفة بل من أقطار استرالية والهند الهولندية فأبث إليهم بما يشفى علتهم ويروى غلتهم ، ويزيل كل شبهة عنهم. وأكثر ما أدرجه فى الصحف والمجلات من عهد بعيد مقتبس من معجمى هذا « المساعد » ، ولا يمكننى أن أتولى طبعه لعظمه وسعته

(١) الزردقة لا ترى فى معاجمنا العربية القديمة ولا الحديثة مع أنها من عصر العباسيين النير الراقى . ولما كان أغلب النساخ يجهلون الكلمة ومعناها وأصلها صحفوها منذ أقدم الأزمنة بصور شتى نشرف منها الزردقة (بتقديم الزاى على الراء) . والزرطقة (بزاى فراء فطاء فقاف موحدة فهاء) . والزرطقة (كالسابقة لكن بجعل القاف قافاً) . قال صاحب المذكرة : الزردقة : هى ضم علم الحيوان إلى علم الفلاحة . وقال أيضاً : رأى النبطى وقسطوس وابن العوام وكثير من الروم : ضم الحيوان إلى كتب الفلاحة . وسموا المجموع (زردقة) حتى اشتغل الأدم والظريف وسوماوس وأرجانس بافراده انتهى نقله بحروفه

وفى كشف الظنون المطبوع فى الآستانة فى سنة ١٣١١ فى كلامه على (كامل الصناعتين) :

« والزرطقة هى عبارة عن تربية الخيل فى تعليمها ولوازمها » اهـ .

وفى النسخة المطبوعة فى دير الآفرنج باللغتين العربية واللاتينية : « الزرطقة [أى بالزاى والراء والطاء والقاف والهاء] ولا جرم أنها تصحيف الزرطقة [بتقديم الراء على الزاى يليها طاء فقاف فهاء] إذ الكلمة لاتينية الوضع ووردت مصحفة تصحيفات أخر كما أشرنا إليها قبل هذا ، ومنها أيضاً : زردقة وزرتقة ورزدقة ورشتقة ورشتقة إلى غيرها

فاجتزأنا بذكر ما وقع عليه بصرنا ، وكلها لم تذكر فى معجم ، وكأن المستشرقين لم يعثروا على واحدة منها ، مع أن جمهوراً منهم عثروا على كشف الظنون وطالعوه من أوله إلى آخره واستشهدوا بأقواله فى مواطن لا تحصى

وفى خزانة ديرنا البغدادى كتاب خطى ظفرنا به فى سنة ١٩٤٠ م فاقتنيناه وعنوانه « كتاب البيطرة » وقد نسخ فى سنة ١٣١٦ للهجرة . وفى آخره كتاب آخر اسمه « مختصر كتاب الزردقة » [كذا] .

وفى هذا السفر الجليل نسخة فى خزانة دار الآثار القديمة ببغداد وقفها فيها ١٣٤ ؛ لكن ليس فيها كتاب الزردقة ، وقد افتقدها الحارس فى السنة التى اقتنينا فيها نسختنا ، أى ١٩٤٠ م

اعلم أن (السيرة) بالكسر و (السَّيْر) بالفتح ، أن يكدّس الطعام أو المِيرة أكداساً وصُبَرا ، ثم يجمع بينها وتصوع ، ثم تُسَيَّغ فتصمد دفعاً لعادية الأمطار والثلوج عنها وحفظاً لها من كل ضرر ، فإن وضع هذا الطعام أو هذه المِيرة في حفرة فهي المطمورة » انتهى بنصابه

وقد تعرّضنا عن السيرة والسير في كتب متون اللغة ، وهي عندنا كثيرة لا يرى أمثالها عند كثيرين من أصحاب خزائن كتب أبناء يعرب ولا في دور أبناء الغرب فلم نظفر بما يفيدنا هذه الفائدة المطلوبة هنا ؛ لكن لها وجه وجيه في اللغة ، فقد جاء في كتبنا عن أحد معانيها : السيرة : المِيرة[1] . فيكون مجيئها بمعنى مخزن السيرة من باب حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه ، ومنه الآية : واسأل القرية . ومعناه : أهل القرية . وفي الحديث : « وإن مجلس بني عوف ينظرون إليه أي أهل المجلس على حذف المضاف . وفي الأساس : رأيتهم مجلساً أي جالسين . وعندنا من الشواهد ما يقع في جزء من أجزاء هذه المجلة لكثرتها وسماعها عن الأئمة الأعلام الأثبات الذين لا يشك في فصاحتهم ولا في بلاغتهم ، ولا في عروبتهم المحضة

(١) ووجوه السيرة بمعنى المِيرة ذكره جميع أرباب المعاجم وهو من غريب المعاني . وسبب هذه الغرابة أن ليس للسيرة جميع المشتقات ومعانيها الناشئة إلى مادة المِيرة ومشتقاتها . فعندنا في هذه المادة مارفلان عياله يميرهم ميرا جاءهم بطعام ؛ وأمار عياله وامتار لهم للتاجر اسم فاعل ، والمِير مصدر والطعام ، والمِيرة بالكسر الطعام ، يختاره الانسان . والميار : جالب المِيرة إلى نظائر هذه الاشتقاقات وكلها في مادة (م ى ر) التي بحث عنها ابن فارس في معجمه البديع « مقاييس اللغة » فقال فيها ما نقله : مير الميم والياء والراء أصل صحيح هو المِير ومرت ميراً والمِيرة الطعام ينقل من بلدة إلى بلدة أخرى . وقالوا ما عنده خير ولا مير والمادة تدل على التغذية والطعام انتهى .

فلا جرم أن السيرة بمعنى المِيرة لغة من لغاتهم التي تجعل ميم بعض الألفاظ سينا كما قالوا : السقاط والقلط وهم سفلة الناس . والضرس كالضرم كشف وهو من يغضب من الجوع . وموج متلاطس ومتلاطم . والسخل والمخل والسرطراط كالمرطراط ، واستقم لونه وامتقع إلى ما لا يحصى ذكره

فقله دور ابن فارس كيف توصل إلى حل معنى (م ى ر) وحل كل مادة من مواد اللغة الضادية مع وفرتها الجمة وكشف ما فيها من دقائق للمعنى . فقد اتفق تحليله لمادة (م ى ر) مع ماجاء من جنسها في الفرنسية إذ جعلت (ميما) العربية (نونا) في لغتهم وقالوا Nourrir ومعناها : أطعم وغذى وأعاش وأعال . وبالانكليزية to nourish مادة نشوئها (م و ر) كما لا يخفى على أحد

وأما مادة (س ى ر) فليس فيها إلا (السيرة) بمعنى المِيرة وليس فيها مشتقات من أفعال وأسماء تفيد معنى السيرة أو الطعام أو التغاضي بعيد ولا من قريب

وأما (السَّيْر) بمعنى السيرة والمِيرة التي وردت في (الزردقة) فلم نجدها في كتاب لغة ؛ لكنا وجدنا في اللسان والتاج وغيرهما (المَيْر) بالفتح بهذا المعنى عينه . وقد رأينا أن (السيرة) بمعنى (المِيرة) وردت في كلام الأقدمين ودواوين اللغة ، فتكون (السَّيْر) للمَيْر من هذا القبيل أي لغة فيها . فتكون (السيلو) من (السير) عن طريق اليونانية ، فقد حكى اللغوي العظيم بوازاق في معجمه أصول الألفاظ اليونانية ، أن الأغارقة يقولون للسيلو (مخزن الطعام في ص ٨٦٦ من تصنيفه البديع Siros [بكسر السين] قابلها بـ Seiros [بفتح السين] بمعناها فلم يبق شك في أنهما مثل (سِيرة) و (سَيْر) بكسر السين في الأول وبفتحها في الثاني والمعنى واحد ، ثم نقلها عنهم أهل الغرب جميعاً فقال اللاتينيون Sirus ونقلها عنهم باللام والإنكليز والفرنسيون والإسبانيون فقالو سيلو أي Silo (باللام)

ولماذا جعلوا اللام في مكان الراء فلأحد سببين : إما لمقاربة مخرج الراء من اللام فأبدلوا إحداها بالأخرى ، وإما لأنهم سمعوها من بعض العرب من قديم الزمان باللام . فالذين نطقوا بها منذ القديم بالراء جاوروا عرباً يلفظون راءها على أصلها . والذين نطقوا بها باللام كالفرنسيين والإسبانيين والإنكليز جاوروا عرباً يجعلون الراء لاماً . وهذا ما ورد نظائره في كلام السلف الصالح القديم فقالوا : هدر الحمام هديراً وهدل هديلاً ، واعرنكس الشعر واعلنكس أي تراكم وكثر أصله . والمرجوم والملجوم ، وأربّ في المكان إرباباً وألب فيه إلباباً : إذا قام به . والشواهد لا تحصى لكثرتها .

الأب أنستاس مارى الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٧ يناير سنة ٩٤٢ في القضية رقم ١١٥ سنة ١٩٤٢ ضد صابحة خليل العجيمي أرملة بالمشنجات بتغريمها ١٠٠ مائة قرش والنشر على مصاريفها لعرضها للبيع قمحاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٤ ديسمبر سنة ٩٤١ في القضية رقم ٢٤٢ سنة ١٩٤١ ضد عبد الحميد علي الجمال بياع بمزية راشد تبع دسوقي مركز دمنهور بتغريمه ١٠٠ مائة قرش والنشر على مصاريفه ليبيعه كبريتاً وغازاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكم في القضية المستأنفة رقم ٤٨١٢ سنة ١٩٤١ بتاريخ ٣ مايو سنة ٩٤١ ضد عبد العزيز عبد السميع يحيى سكنه الروضي بتغريمه جنيه ليبيعه مسامير بسعر أزيد من التسعيرة